

واشتد انتصار أبى طالب لابن أخيه ﷺ وأنشد:

ودعوتنى وعلمت أنك صادق فلقد صدقت وكنت ثم أمينا
ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا
والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد فى التراب دفيناً^(١)

ومن هذا اختلف فى إسلامه والأرجح أنه مات كافراً، وللأختلاف سبب آخر، وهو أنه حين أدركته الوفاة سنة عشر من النبوة وكان بلغ عمره بضعاً وثمانين سنة قال له رسول الله ﷺ: «قلها أستحل بها لك الشفاعة»^(٢) فقال: يا ابن أخى لولا مخافة السببة فى أن تظن قريش أننا قتلها جزعاً من الموت لقلتسها، فلما تقارب منه الموت جعل يحرك شفتيه فأصغى إليه العباس بأذنه وقال: والله يا ابن أخى لقد قال الكلمة التى أمرته بها، فقال رسول الله ﷺ: الحمد لله الذى هداك يا عم، هكذا روى عن ابن عباس، وما فى الصحيح أصح، وهو مخالف لهذا، والله تعالى أعلم.

ثم توفيت خديجة بعد أبى طالب، وطمع المشركون فى رسول الله ﷺ، وكثر أذاهم له، فسافر رسول الله ﷺ إلى الطائف وعاد، وجعل يعرض نفسه على القبائل، ووجد شدة حتى دعا دعاءه المشهور:

«اللهم إليك أشكو ضعف قوتى، وقلة حيلتى، وهوانى على الناس، أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلنى؟ إلى بعيد يتجهمنى أو إلى عدو ملكته أمرى، إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى، ولكن عاقبتك أوسع لى، أعوذ بنور وجهك الذى صلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بى غضبك، أو يحل على سخطك،

(١) الأبيات هنا ناقصة وهى:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد فى التراب دفيناً
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وابشر بذلك وقر منك عيوناً
ودعوتنى وزعمت أنك ناصحى فلقد صدقت وكنت قبل أمينا
وعرضت ديناً قد عرفت بأنه من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتنى سمحاً بذلك يقينا

(٢) الحديث بهذا اللفظ رواه البيهقى فى الدلائل (٣٤٦/٢) قال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال:

حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، قال: حدثنا أحمد بن عبد الجبار، قال: حدثنا يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال: حدثنى العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله عن ابن عباس - فذكره مرفوعاً، وفى الإستناد مبهمون.